# رد العثمانيين على اكتشاف أمريكا والطريق الجديد إلى الهند [1]

د. عباس حمداني

جامعة وسكانسون – ميلواكي

حمل البرتغاليون والإسبان الروح الصليبية للعصور الوسطى المتمثلة بالمصطلح Reconquista * أثناء كشوفاتهم في طريق جديد يؤدي إلى الهند والعالم الجديد. كان هدف البرتغاليين هو السيطرة على مكة على أمل مقايضتها بمدينة القدس . وأسس البرتغاليون أيضاً علاقات مع ملك الحبشة ، وهم يعرِّفونه باسم يوحنا الراهب The Prester John. وأخيراً ، ضيَّقوا على القوة الاقتصادية لدولة المماليك . لكن الردَّ على هذه الإجراءات جاء من الدولة العثمانية التي ضمَّت إليها أراضي دولة المماليك في الشرق الأوسط ، ثم تحدَّت البرتغاليين في المحيط الهندي ، وتحدَّت الإسبان في البحر الأبيض المتوسط . وقد امتلك العثمانيون ، في أوج قوتهم في القرن السادس عشر (العاشر الهجري) ، القوة البحرية المطلوبة وأنواع السفن المحتاج إليها في رحلاتهم الكشوفية ، وتجهزوا لمطاردة أعدائهم عبر الأطلسي ، ووضعوا خريطة للعالم الجديد معتمدين فيها على خريطة كولومبس ، وأشاروا فيها إلى أمريكا بشكل واضح تحت اسم ولاية أنتيليا Velayet Antilia . لكن حكومة السعديين في المغرب منعتهم من العبور إلى المحيط الأطلسي . وقيام الثورات على جبهات أطراف الدولة العثمانية ، الأوربية والفارسية وجنوب الجريزة العربية ، أضعف العثمانيين أكثر . منذ عصر شركات الهند الشرقية بدأت الاندفاعات الصليبية للإسبان والبرتغاليين بالذبول بشكل كبير ، وبالتالي ، فإن إرادة التصدي عند العثمانيين لهذه الحملات الصليبية لم يعد لها مبرر لأنْ تمتد وتصل أمريكا .

في مقال سابق كتبتُه لمجلة الجمعية الإستشراقية الأمريكية تحت عنوان « كولومبس واسترجاع القدس » أكَّدتُ على أن رحلات كولومبس إلى العالم الجديد مثلت استمرارية الروح الصليبية لحركة الاسترداد الإسبانية . وقد كشفت يوميات كولومبس *empresa de las Indias* أنها تحتوي على خطة للاتصال بالمغول وملكهم المحب للنصارى الخان الأعظم في الشرق ، والإحاطة بالأراضي الإسلامية في الشرق الأوسط ، وفتح طريق تجارة جديد إلى الشرق لتجاوز مناطق المماليك ، وجمع قوة النصرانية الغربية والشرقية في حركة تغليقية لاسترجاع مدينة القدس وكاسا سانتا *casa santa* (بيت القديس) . إن خطة كولومبس كانت مثالاً آخر على حركة كان قد بدأها ماركو بولو (1295م) ، ومارينو سانودو (1321م) في *Libre Secretorum* ، ومجموعة أعمال حياة البابا بايوس الثاني Pius II (1458 – 1465م) وغيرها من الأدبيات مثل كامبانوس Campanus في *Oratio* (1471م) [2] .

بقدر ما ، فإن « عصر الكشوفات » كان مشبعاً برغبة الوصول إلى الهند والمشرق ، وقد أثبتت البرتغال فيه نجاحاً أكبر من إسبانيا . وبالرغم من أن أول المحاولات الجدية في هذا الاتجاه كانت من قبل الأخوين فيفالدي Vivaldi من مدينة جنوة في عام 1291م (690هـ) (وهي نفس السنة التي سقطت فيها عكا)** اللذين هلكا على

شواطئ الأطلسي لشمال إفريقية ، إلا أن البرتغاليين هم من حقق تقدماً ملحوظاً [3] . كان « دينيز » ملك البرتغال (1279 – 1325م) أول من بدأ هذه الحركة التي شوهدت من الخارج على أنها حركة صليبية . إن أول خطوة اتخذت في هذا المجال كانت تعيين تاجر غني من جنوة عام 1317م اسمه مانويل باشانها Manuel Peçanha (بساغْنو) أميراً بحرياً للبرتغال ، حيث أُرْسل إلى البابا يوحنا الثاني عشر برفقة غونشاليو بريرا Gonçalho Pereira في مدينة أفينون*** لجمع الأموال من أجل بناء أسطول لاستعماله ضد المسلمين . ولهذا السبب أوجد البابا جماعة المسيح Order of Christ التي حوّل إليها كل الممتلكات البرتغالية التي كانت تابعة لجماعة فرسان المعبد الصليبية المُلاحَقة (في ذلك الوقت) . كان أول فرع لجماعة المسيح قد أسس في لشبونة عام 1321م . وبالرغم أن الجماعة يترأسها أسيادها ، إلا أن أموالها كانت تحت إدارة العائلة الملكية البرتغالية . وكان الأمير البرتغالي هنري الملاح Henry the Navigator (1394 – 1460م) هو الذي يدير جماعة المسيح ويستعمل أموالها في التجارة البحرية وفي حملاته العدوانية على اليابسة ضد المسلمين . وبهذه القدرة ، وضع الأمير هنري خطة لاستيلاء على سبتة Ceuta في عام 1415م (9 جمادى الآخر ، 818 هـ) . ومن هذه القاعدة في الشمال الإفريقي ، أصبحت الطرق المغربية للقوافل والسواحل الأطلسية معابر للحملة البرتغالية جنوباً إلى غرب إفريقية . في عام 1433 كَتبَ غومِز إيانس دي أزورارا ، وكان معاصراً للأمير هنري ، ما اعتبره حوافز الأمير لرعايته الكشوفات . وحسب أزورارا ، فإن هنري الملاح كان مندفعاً بحماسة من أجل الربِّ ، وبالرغبة في التحالف مع نصارى الشرق ، وبحماسة لمعرفة حقيقة قوة « الكفار » ، وبتمنيه في تنصير الناس ، ورغبته في محاربة المسلمين . أما الذهب والعاج والعبيد والتوابل بكونها أهدافاً للأمير هنري فليس لها حساب في كتاب أوزرارا.

يقول بيلي ديفي Bailey Diffie : « إن المرافئ البرتغالية كانت جزءاً من إمبراطورية تجارة المسلمين ، تماماً كما كان تعلُّم البرتغاليين جزءاً من جغرافية وملاحة المسلمين » . في أوائل القرن الخامس عشر ، كان «الكرافال caravel » ، وهو نوع معين من القوارب ، قد فُضِّل استخدامه على «القادس galley» و«الناو nau» و«البارشا barcha» و«البارينِل barinel». أما الكرافال ، والذي استخدمه كولومبوس أيضاً ، فقد استُعير من القارب العربي الذي كان يستخدمه العرب في البحر المتوسط بنجاح لقرون عديدة . في حين أن جزيرة ماديرا اكتُشفت في الفترة ما بين 1330 و1418م ، وجزر الكناري في 1341م ، فإن جزراً أخرى أبعد يمكن الوصول إليها بالكرافال ، مثل جزر الآزور في 1431م ، وجزر الرأس الأخضر بين عام 1456 و1459.

جدد سقوط القسطنطينية في عام 1453م نشاطات الحركة الصليبية في أوروبا . ورأى الأمير هنري الإبحار حول إفريقية والوصول إلى الحكام النصارى المجهولين في الشرق . ورأى هذا أيضاً بعين احتكار التجارة ، والاعفاء من دفع الضريبة العشارية المعتادة للبابا ، كل هذا أقرّ بأمر بابوي في 1455/1/8م .

أما الحاكم البرتغالي التالي ، واسمه دوم جُوَاوْ Dom João ، فقد أرسل حملة استطلاعية تجسسية لتعبر أراضي المماليك وكُلّفت بالاتصال بإمبراطور الحبشة ، والكشف عن مصادر تجارة التوابل في الشرق . قاد هذه الحملة اثنان يتكلمان اللغة العربية ، وهما : بيرو دي كوفيليا Pero de Covilha ، وأفونسو دي بايفا Affonso de Paiva .

وفي نفس الوقت ، كان بارثولوميو دياز Bartholomeu Diaz قد وصل إلى رأس الرجاء الصالح ( Cape of Good Hope) . لقد أقنع تقرير دياز في عام 1488 وتقرير كوفيليا في عام 1492 الملكَ دوم جواوْ بإمكانية الوصول إلى الهند والشرق (الأقصى) من خلال طريق بحري يمر برأس الرجاء الصالح . إن أنباء اكتشاف كولومبوس للهند الغربية ربما أخَّر خطة جواوْ ، لكن إدراكه فيما بعد بأن كولومبوس اكتشف قارة جديدة – لم تكن الهند – قد جدد إصرار الحاكم البرتغالي لتجهيز حملة جديدة إلى الجنوب . بعد أن دار فاسكو دي غاما حول رأس الرجاء الصالح في عام 1497، تابع مسيره محاذياً الشاطئ الإفريقي شمالاً إلى ماليندي (قرب زنجبار) ، هناك التقى بالبحار العربي الشهير أحمد بن ماجد ، الذي كانت لديه عدة مؤلفات في الملاحة . وقد قام أحمد بن ماجد بمساعدة البرتغاليين في عبور المحيط الهندي والوصول إلى كلكته الواقعة على الشاطئ الغربي في جنوب الهند ، وكانت مركزاً تجارياً رئيساً لتجارة التوابل الشرقية . وهكذا أضيفت التوابل الهندية إلى ذهب إفريقية الغربية ، والعاج ، والعبيد .

أقام البرتغاليون مستعمراتهم على طول الطريق الجديد إلى الهند ، وفي كل مكان حلوا فيه واجهوا دولاً عربية وإسلامية . كانت الأحوال مناسبة لتجديد العدوان السياسي والاقتصادي ضد المماليك .

في عام 1500م اصطدم البرتغاليون مع التجار المسلمين في كلكته وأحرقوا عشر سفن مملوكية . وفي السنة التي تلتها ، أعلن الملك البرتغالي أنه لا يمكن السماح للعرب بتجارة التوابل الهندية بعد الآن . وفي عام 1502 وبمساعدة الحاكم الهندوسي لمنطقتي شانور وكوشين في جنوب الهند ، أعلن البرتغاليون الحرب على ساموري حامي التجار المسلمين في كلكته . بعد ذلك أغلقوا المدخل الجنوبي للبحر الأحمر في وجه الملاحة الإسلامية ، ونتيجة لذلك ، فقد كانت التوابل التي تصل مصر في عام 1504 تذهب للاستهلاك المحلي فقط ، وكانت تصل من طريق أخرى .

لقد طلب كل سلطان كجرات (غرب الهند) محمود بغارها (1459 – 1511) ، وحاكم الطاهريين في اليمن ظافر الثاني (1487 – 1517) ، وشريف مكة بركات الثاني (1495 – 1524) من السلطان المملوكي قانصوه غوري (1501 – 1517) أن يهب لنجدتهم ، لكن الأسطول المملوكي هُزم على يد النائب البرتغالي فرانسيسكو دي ألميده تجاه شواطئ « ديو Diu» في كجرات التي احتلها البرتغاليون وأسسوا فيها قاعدة لهم . ألميده ، وهو محارب برتغالي قديم ، حارب المسلمين في شمال إفريقية ، كان قد أعلن وقتها لجنوده أنه : « ما دمتم أقوياء في البحر ، فإن الهند ستكون لكم ، وإن لم تمتلكوا هذه القوة فلا شيء يحميكم » . في عام 1507م أخذ البرتغاليون جزيرة سقطرى الواقعة جنوب شواطئ الجزيرة العربية ، وكانوا قبلها قد هاجموا مدينة جدة في عام 1505. ونسف القائد المملوكي مير حسين الكردي خطة ألميده لاحتلاله مكة في نهاية عام 1506م ، حيث بنى التحصينات في جدة ، ميناء مكة .

في عام 1509م ، استُبدِل ألميده بحاكم آخر جديد ، هو أفونسو دي ألبوكركي Affonso de Albuquerque الذي حلم بإقامة إمبراطورية برتغالية في الشرق . أخذ ألبوكركي مرفأ « غوا Goa » من سلطان بيجابور Bijabur ، وهذا المرفأ عبارة عن مقاطعة أصبحت عاصمة للبرتغال في الشرق . في عام 1511م ، احتل ألبوكركي مالاقا في إندونيسيا ، المصدر الرئيس للتوابل ، ومع ذلك ، فقد فشل في احتلال مدينة عدن ، لكنه استطاع السيطرة على موانئ

إفريقية الشرقية ، وسقطرى ، وهرمز ، وديو ، ودامان ، وغوا ، ومالاقا ، واستطاع تحويل المحيط الهندي إلى بخر مغلق في وجه الملاحة الإسلامية . « إذا أخذنا تجارة مالاقا من أيدي المماليك فإن القاهرة ومكة ستخربان تماماً ، ولن يُحمَل شيء من التوابل إلى البندقية ، عدا ما يشتريه تجارها من البرتغال » . في عام 1513م قرأ كاميليو بورتيو Camilio Portio كلمة - نيابة عن ألبوكركي – على البابا ليو العاشر حيث قال فيها : « هناك فرصة مفتوحة لنا باحتلال مملكة هرمز ، وطريق بيت المقدس (البلد الذي ولِد فيه مخلصنا) ، يمكن استخلاصه من أيدي أولئك الكفار الذين يملكونه بظلم وبغير حق » . إن أطماع ألبوكركي في الاندفاع إلى البحر الأحمر واحتلال مكة ، المدينة المقدسة ، واستبدالها ببيت المقدس بقي أمراً لم يتحقق . لقد حلم ألبوكركي بتحالف مع ملك الحبشة النصراني الذي عرف بيوحنا الراهب الحقيقي . بل إن ألبوكركي اقترح خطة كبيرة لتجويع مصر عن طريق تحويل مجرى نهر النيل في إثيوبيا إلى البحر الأحمر .

استمر أثر التجارة البرتغالية في الشرق بعد موت ألبوكركي ، لكن الاحتكار البرتغالي للتجارة الشرقية كسره المنافسون الهولنديون والإنجليز الذين كانت اهتماماتهم التجارة غير مغلفة بحافز صليبي . بالإضافة إلى ذلك ، ومع سيطرة العثمانيين على الشرق الأوسط في عام 1517م ، واجه البرتغاليون عدواً أكثر إصراراً من المماليك . وعلى كل حال ، لم يأت عام 1580 حتى ضُمَّت البرتغال إلى إسبانيا وجُرَّت إلى الشباك الأوروبية لجارتها الأيبيرية (إسبانيا) .

إن فتح الباب الخلفي للتجارة الشرقية – الغربية عبر رأس الرجاء الصالح حقق الاختناق المرجو لمصر المملوكية التي سلَّمت ، ليس لقوة صليبيبة ، وإنما للعثمانيين الأتراك . وكما حدث في القرن الثاني عشر عندما مهدت سيطرةُ صلاح الدين على الدولة الفاطمية في مصر الطريقَ لحملة صليبية مضادة ، فإن الغزو العثماني لمصر كذلك مهد الطريق للمواجهة مع البرتغال وإسبانيا . بين عام 1517 و 1519م أخذ العثمانيون بغداد ، وفي عام 1546 أخذوا البصرة ، ونتيجة لذلك ، استطاعوا أن يسيطروا على البحر الأحمر والخليج العربي . وهكذا ، استطاع العثمانيون أن يمنعوا تقدُّم البرتغاليين شمالاً من المحيط الهندي [عبر البحر الأحمر] إلى مكة والقاهرة . إن أنظارنا الآن تتجه نحو أطماع العثمانيين في شمال إفريقية والغرب ، وهذا يمثل ، بشكل ما ، رد فعل الإسلام على اكتشاف أمريكا .

ذكر بيري رئيس ، بطل البحرية التركية في زمانه ، في مذكراته التي تحمل اسم « البحرية » أنه عرض خريطة العالم على السلطان العثماني سليم (1512 – 1520) فاتح مصر في سنة 1517. في عام 1929 ، اكتشف السيد « خليل أتم إلدم » خريطة بيري في الفترة التي كان يتم فيها تحويل قصر قاب قابي العثماني إلى متحف ، ودعى البرفسور بول كهله Paul Kahle لدراستها . هذه الخريطة التي رسمت بالألوان على قطعة من جلد غزال ، كانت مؤرخة في عام 1513م . وعلى الخريطة تعليق ، يقول إنها جُمِعت من بين عشرين خريطة للعالم . تضم الخريطة الصين والمناطق الشرقية ، التي قد يكون مصدرها خرائط عربية . هذا الجزء من الخريطة ممزق ومفقود . وأما الجزء المتبقي فمحفوظ في أقسام ذات مقاييس متفاوتة ويُظهر المناطق الغربية من المحيط الأطلسي ، ومصرَّح أن مصدرها هو خريطة « كولونبو » . ليس هناك جدل حول شخصية « كولونبو » هذا ، حيث أن هناك تعليق آخر

طويل (على الخريطة) يصف تاريخ حياة كولومبس منذ سن الطفولة في جنوة وحتى تجارته بالخرز الزجاجي مقابل الذهب واللؤلؤ في الهند الغربية . ويذكر التعليق أيضاً كيف أن حصل بيري على خريطة الأميرال كولومبس **** . كان لكمال باشا ، وهو عمٌّ لبيري رئيس (ت 1511م) عبد إسباني ، وقد أخبره هذا العبد بأنه « سافر ثلاث مرات مع كولونبو إلى هذه المنطقة » . ونقل بول كحله مقطعاً آخر في مذكرات بيري يصف فيه استيلاءه على سبع سفن إسبانية تجاه شواطئ بلنسية ، وهو حدث يعرف أنه حصل في عام 1501م . حدث هذا بعد رحلة كولومبس الثالثة التي انتهت في شهر آب / أغسطس عام 1499م ، وكان قبل الرحلة الرابعة التي بدأت في نيسان / أبريل عام 1502م . إن البحار الإسباني الذي روى قصة كولومبس كان بالتأكيد في السفن الإسبانية التي تم الاستيلاء عليها في عام 1501م والذي وُجد في حوزته الخريطة المتكلَّم عنها . بل إن أسماء الأمكنة في خريطة بيري هي نفسها الأسماء التي أطلقها كولومبس عليها ، ولو أنها قد حُرِّفت حسب اللسان التركي المستعمل في ذلك الوقت ، فمثلاً : كلمة « وادلُك » بدلَ « غوادالوبي » ، و« سانتا ماريا وغالاندا » بدل « سانتا ماريا وغالانتي » ، و« كريستو » بدل « سانتا كروز » و« أونديزي فيرجيني » بدل « Virgin Islands» الجزر العذراء (لاحظ استعمالهم لكلمة undici الإيطالية التي ربما استعملها كولومبس الجنوي بدلاً من الإسبانية once!) ، و« كاليوت » بدلَ « كابو دي لا غاليرا » Cabo de la Galera .

تظهر جزيرة إسبانيولا في خريطة بيري ممتدة من الشمال إلى الجنوب ، بالتأكيد ، كما رُسِمَت في خريطة كولومبس ، لأن الأميرال كولومبس كان يظنها أنها « سيبانجو » أو اليابان . أما جزيرة كوبا فتظهر على أنها جزء من اليابسة ، حيث تظهر عليها « بورتا غاندي » (بورْتو غراندي Puerto Grande) كما ظن كولومبس .وقد ظهرت الجزيرة كقطعة أرض ممتدة في المحيط ومتجهة نحو الجنوب ، أيضاً كما ظنها كولومبس أن تكون . هناك عدة جزر صغيرة مشار إليها برسومات لطيور الببغاء ، وكأنها تشير - طبقاً لكحله – إلى اكتشافات غير مؤكدة . من هذا الدليل ، استنتج كحله أن بيري استعمل خريطة حملها كولومبس معه في رحلته الأولى – خريطة كان الأميرال كولومبس يغيِّرها باستمرار مع تطورات الرحلة – وهذه الخريطة انتقلت بشكل ما إلى مارتن ألونسو بنْزون Martin Alonso Pinzón كابتن السفينة بينْتا Pinta .

هناك دليل على أن العثمانيين استخدموا الموريسكيين من إسبانيا كعملاء استخبارات في أوروبة . لذلك ، وعلى الأغلب ، أن هؤلاء الموريسكيين خدموا السبب نفسه في متابعة أثر الاستكشافات الإسبانية والبرتغالية في المحيط الأطلسي .

كل هذا يُبيِّن أن العثمانيين ، وفي وقت مبكر ، كانوا على علم واهتمام بالكشوفات في العالَم الجديد الذي أشير إليه على خريطة بيري باسم « ولاية أنتيليا » . إن الاسم « ولاية » يطلق في العادة على وحدة إدارية في الدولة العثمانية . وبما أن العثمانيين كانوا منشغلين في ردع الحملات الصليبية في المحيط الهندي وفي البحر المتوسط ضد القوى نفسها التي اكتشفت هذه الأراضي الجديدة ، فقد أبدوا استعدادهم لملاحقة عدوِّهم في الأطلسي ، بل وربما عبر الأطلسي . أود أن أؤكد على أن اهتمامات العثمانيين في شمال إفريقية ومسيرهم المستميت باتجاه السواحل الغربية للمغرب هي

بنفسها دليل على نوايا الباب العالي . والسبب في عدم وصول العثمانيين أمريكا إنما هو فشلهم في كسب الساحل الأطلسي .

وحتى قبل عام 1517م ، فإن شمال إفريقية أصبح مسرحاً للصراع الإسباني – العثماني . فلقد أتبعَ الإسبان استرجاع الجزيرة الأندلسية بإقامة قلاع لهم على الساحلين الجزائري والتونسي . احتل الإسبان مدينة مليلة في عام 1497 ، ومرسى الكبير في 1505 ، وبنْيونْ Peñon مدينة الجزائر في 1508 ، وبوجي وطرابلس الغرب في 1510 . وأصحبت أماكن صغيرة أخرى روافد لإسبانيا ، مثل : تنس ، دليز ، شرشل ، ومتسغانم . لقد لعبت حملات التفتيش التي قادها الكاردينال خيمنس Ximenes دوراً مهماً ، بينما زوَّد القراصنة من أمثال بدرو نافارو Pedro Navaro بالسلاح الكثير لقطع الطريق على السفن العثمانية .

ركز البرتغاليون في المقابل على المغرب ، وقد كان احتلال سبتة في عام 1415 بداية العملية . أقيمت الحدود والمراكز في القصر الصغير في 1458 ، وفي عنفية عام 1469 ، وفي مصات عام 1488 ، وفي طنجة وأرزيلة في 1471، وفي أغادير عام 1505 ، وصافي في 1508 ، وفي أزمور عام 1513 ، ومازاغان عام 1514 ، ومراكش عام 1515 .

إن ضعف السلالات الحاكمة في الشمال الإفريقي – المرينيين والزيانيين والحفصيين – دفع العثمانيين لرميهم جانباً ، وسيطرتهم على المنطقة على أساس مواجهة الخطر الإسباني والبرتغالي . إن المهندسين الرئيسين للقوة العثمانية في هذه المنطقة هما الأخوان برباروسا ، قرصانان عيَّنهما العثمانيون أميرين على الأسطول العثماني . أنشأ خير الدين برباروسا أسطولاً عثمانياً جديداً في عام 1519 ، واسترجع بينيون مدينة الجزائر من الإسبان في عام 1525 ، وبين هاتين السنتيْن استرجع معظم الساحل الجزائري ، مؤسساً مراكزه في جيجللي ومدينة الجزائر . ولم تمر سنة 1574 حتى كان معظم شمال إفريقية في أيدٍ عثمانية .

إلا أن منطقة واحدة ، وهي المغرب ، حافظت على استقلالها بحماسة ضد النصارى والعثمانيين تحت حكم السعديين ، عائلة الأشراف الجديدة . لقد لعبت هذه العائلة دوراً في العالم الإسلامي شبيهاً بدور مدينة البندقية في العالم النصراني . في حلول عام 1554 تمكَّن السعديون في مراكش ، وفي عام 1549 سيطروا على صافي وأزمور . ودخل الشريف محمد المهدي الثاني ( 1517 - 1557 ) في علاقات تجارية مع بريطانيا ، وبدون تردد عارض التقدم التركي في مناطقه . وهكذا ، صُدَّ مسير الأتراك باتجاه الأطلسي وكذلك آمالهم في عبوره إلى العالم الجديد . وقد بدا شعور الإحباط لدى العثمانيين واضحاً في اغتيال الشريف الذي حمل قاتلوه رأسَه إلى إستانبول ، لكن لم يتغير شيء يذكر بهذا العمل ، وبقيت المغرب مغلقة في وجه العثمانيين .

إلى جانب فشل كسب الساحل الأطلسي للمغرب والذي تطور فيما بعد وساهم في فقدان العثمانيين الاهتمام بالعالم الجديد ، فإن هناك عوامل أخرى مثل المشاكل المستمرة في جبهات الإمبراطورية العثمانية : وسط أوروبة ، فارس ، وجنوب الجزيرة العربية ؛ فالبحر المتوسط تطلب توفُّر مصادر بحرية كبيرة ، فسواء تحقق النصر في قبرص (1570م) أو الهزيمة في ليبانتو (1571) فالدولة العثمانية ما زالت تملك حيوية كافية لاستعادة قوتها البحرية للدفاع

عن السواحل الطويلة لحدودها ، لكن ليس بشكل كاف ضد أي مواجهة مع الإسبان والبرتغاليين عبر مضيق جبل طارق .

بالنسبة لإسبانيا والبرتغال فقد دخلتا في مجال الدفاع عن إمبراطوريتهما البعيدتين وتجارتهما ضد المنافسين الجدد مثل إنجلترا وهولاندا وفرنسا . أما يوحنا الراهب والخان العظيم فقد خدما وجودهما الخيالي . لقد أصبح الذهب ، والعبيد ، والتوابل ، وكذلك استعمار الأراضي المكتشفة حديثاً ، أكثر أهمية من الحملات الصليبية ضد المسلمين . في زمن شركات الهند الشرقية ، ذبلت قضية استرجاع القدس كعنصر رئيس محرك في نشاطات الصليبيين السياسية . ومع ذلك ، فذكرى تلك الأيام ما تزال تخفق في بعض أسماء الأماكن الأمريكية مثل : ماتاموروس Matamoros (القديس جميس "قاتل المسلمين") .

**مجلة الجمعية الإستشراقية الأمريكية ، المجلد 101 ، رقم 3 ( تموز – أيلول ، 1981)، ص 323-330.**

(ترجمة : عبد الرحمن كيلاني)

---

[1] هذا المقال عبارة عن نسخة منقحة لبحث قرئ في المؤتمر الثامن والثمانين بعد المائة السنوي للجمعية الإستشراقية الأمريكية الذي أقيم في تورنتو / كندا (نيسان ، 11 – 13 ، 1987) ، وهو تكلمة لمقالي الآخر بعنوان : « كولومبس واستعادة القدس » .

* كلمة إسبانية تعني « إعادة احتلال / استرداد » وهي تشير إلى الحركات العسكرية – وهي جزء من الحملات الصليبية - التي قام بها النصارى لاسترجاع الأندلس من أيدي المسلمين وملاحقتهم في الخارج ، وقد استمرت هذه الحركة فترة 800 عام في الأندلس وحده . (المترجم) .

[2] انظر JAOS ، مجلد 99 ، العدد 1 (1979)، ص 39 – 48 ، حيث أن هناك ملاحظات مفصلة عن هؤلاء الأشخاص وأعمالهم .

** وهو استرجاع مدينة عكا من الصليبيين على يد السلطان الأشرف خليل المملوكي في 18 جمادى الأولى ، 690 هـ . انظر : http://www.islamonline.net/Arabic/history/03/1422/article29.shtml (المترجم)

[3] تجد تاريخ البرتغال فيما وراء البحار مذكوراً ، ولو باختصار لكن بشكل موثق ، في كتاب بيلي ديفي *Prelude to Empire* (1960) . وعن زمن الأمير هنري وما بعده لدينا كتاب تشارلز بوكسر *The Portuguese Seaborne Empire* (1969) ، ومقالاته الموثقة *Four Centuries of Portuguese Expansion (1415 – 1825)* (1965) ، أيضاً انظر ديفي و ج. د. وينيوس *Foundations of the Portuguese Empire: 1415 – 1580* (1977) . واعتمدت في مقالي على هذه المراجع . [اضطررت إلى حذف بقية حواشي هذا البحث لطولها ، وهي تبلغ بمجموعها 33 حاشية. المترجم] .

*** مدينة فرنسية تقع في الجهة الجنونية الشرقية من البلاد على نهر الرون ، كانت كرسي البابوية من 1309 وحتى 1378م (المترجم) .

**** انظر : ترجمة كلام بيري رئيس في : http://www.fustat.com/geog/piri2.shtml في موقع مجلة الفسطاط (المترجم) .